الاعلام الاسرائيلي في مواجهة معارك التحرير العربية:

التناقضات في إذاعة العدو تعكس المأزق الإسرائيلي وحقيقة معنويات العدو على الجبهة وفي الداخل

منذ بداية الحرب والاعلام الاسرائيلي الموجه للاسرائيليين بمسلسل من الاكاذيب والاضاليل كانت تستهدف رفع المعنويات الاسرائيلية ، باخفاء حقيقة ما يجرى على جبهات القتال والايهام بانتصارات مزعومة ، واطلاق التهديدات بالصوت العالي المتشنج ، ما لبثت ان انكشفت تدريجيا بحيث اضطر المسؤولون عن اعلام العدو الى محاولة رفع المعنويات بتطعيم الاسرائيليين ليس بانتصارات تحققها قواتهم في المعارك ، بل بانتصارات ((ستحققها)) في الغد او بعد غد ..

ومن جهة ثانية برز الارتباك والتخبط الاسرائيلي في الحرب النفسية الصهيونية في التفسيرات الساذجة للمواقف المختلفة ، العربية والدولية ، في محاولات الدس بين الاطراف العربية المشاركة في القتال ، وفي محاولات الدس والتشكيك في العلاقة مع الاتحاد السوفياتي ، وفي موقف موسكو من الحرب ، كما تمثل في التلويح والتهويل بتدخل اميركي الى جانب اسرائيل ، والارتباك في تفسير مواقف بلدان اوروبية غربية مختلفة ، تقف على مسافات مختلفة بدرجة او باخرى ، من السياسة الاسرائيلية (راجع نشرات ((رصد اذاعة اسرائيل)) ، مركز الابحاث ، م.ت.ف) .

من الحديث عن الابادة الى التهديد بالمستقبل

فخلال الايام الثلاثة الاولى من المعارك ركز الاعلام الاسرائيلي على الهجوم الاسرائيلي المضاد المرتقب في الجولان وسيناء ، مؤكدا بأن كل الانتصارات العربية سوف تسحق فور ان تبدأ . وبعد الساعات الاولى من بدء الهجوم المضاد نفيت اللغة الاعلامية للعدو كليا ، من الحديث عن صد الهجوم العربي ، الى الحديث عن « سحق وابادة القوات العربية » .

وراحت اجهز اعلام العدو تحاول مواجهة انهيار المعنويات في اوساط الجنود ، والجمهور الاسرائيلي ايضا ، بالدفاع عن سلامة الخط السياسي والعسكري الذي اتبعته القيادة الاسرائيلية ، وبرر فشل الهجوم المضاد ، وقد حاولت الزعم بانها لم تكن مباغتة لها .

● فقال ابطال الون زاعما : « ان الستراتيجية التي اتخذناها ، والمتمثلة بالانتظار حتى غزو العدو ، كانت سليمة تماما واثبت نفسها ! » (٧٣/١٠/٩) .

● وقال حاييم هرتسوغ : « في اليوم الخامس للحرب ، يبدو لي اننا لم نقدر حق التقدير ، المكسب الكبير الكامن في الاعتراف باننا فقدنا الخطوط امام قوات العدو ، واننا اقمنا قاعدة مأمونة استعدادا لما سيأتي .. وليس بالامكان ان نفسر للجمهور الاعتبارات الكامنة في هذا التحرك او ذاك فاحيانا تكون هذه الاعتبارات نابعة من الرغبة في اغراء العدو والايقاع به . وهذا المجرى يبدو للعراقب احيانا بطيئا محفوفا للاعصاب » (٧٣/١٠/١٠) .

ولم يعد في وسع العدو اخفاء الحقائق كلها عما يجرى على جبهات القتال والتراجعات الاسرائيلية امام ضربات القوات العربية الشديدة ومصيبها في تحرير الاراضي المحتلة . وكان لا بد لمخططي الحملات الاعلامية تقديم بعض الحقائق للاسرائيليين لاعدادهم من اجل الحرب الطويلة الامد الخطيرة على اسرائيل ، بعدما اوهموهم في البداية بحرب خاطفة تنهي سريعة و « تسحق » القوات العربية الزاحفة . وقد ظهر هذا الاتجاه الاعلامي في تصريحات عديدة :

– « هذا لا يعني ان العدو السوري قد دمر، الا انه عانى من خسائر كبيرة .. وينبغي عدم التقليل من اهميه رؤوس الجسور التي اقيمت على الفناء » العميد اهارون ياريف (٧٣/١٠/٩) .

– « انكم تواجهون اصعب حرب .. وهذه ليست الحرب الخاطفة التي اعددنا عليها . اذ ان الحرب هذه المرة صعبه وطويلة الامد .. واسلوب القتال لدى عدونا هو اسلوب حرب الشعوب التي لا قيمة لحياة البشر فيها » العميد شوميل جونون، قائد قوات سيناء (٧٣/١٠/١) .

– « ان المعركة التي سنخوضها سطول ، نستطيع ان نصمد فيها اذا ما اعترفنا بالوقائع كالمطلوب .. وان يوسعنا الاستمرار في قائلنا بواسطة جملة من الاجراءات بمقل » العميد اهارون ياريف (٧٣/١٠/٩) .

ومن التركيز على الهجوم المضاد والحديث عن ابادة القوات العربيه ، وصل الاعلام الاسرائيلي الى مستوى تطمين الاسرائيليين بانتصارات في المستقبل، الى التهديد بالمستقبل ، الى محاولة تخويف العرب من المستقبل .. وقد شارك العدو في هذه الحملة المسؤولون الاميركيون والصحف الغربية الصهيونيه . ومن ابرز النماذج :

● « يجدر فهم رغبة اسرائيل في مطاردة اعدائها وراء القناة والى داخل سوريا .. ذلك ان اسرائيل لا تستطيع ان تسلم بحرب استنزاف بطيئة ولا يمكنها ان تسلم بتكرار شن مثل هذه الحرب بعد بضعة اعوام » .

« الدبلي تلغراف » اللندنية (٧٣/١٠/١) .

● « ان الويات المتحدة لم تطلب من اسرائيل بأن لا تجتاز قناة السويس » .

المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الاميركية (٧٣/١٠/٨)

التهويل الاسرائيلي باميركا

وكان من ابرز اتجاهات الحرب النفسية الاسرائيلية محاولة التهديد بامكانية التدخل الاميركي المباشر ، واظهار عدم امكانية التدخل السوفياتي ، محاولا القول بان الحرب عند ذلك لن يكون لديهم القدرة على المواجهة ..

وكما كان متوقعا فقد جاء الموقف الاميركي في مجلس الامن مستجيبا للتهديدات وللمطالب الاسرائيلية، عندما طلب مندوب الولايات المتحدة من المجلس بان « يطلب من الاطراف المتقاتلة العودة الى المواقع التي كانت فيها قبل بدء الاشتباكات يوم السبت » . كذلك كان الموقف الاميركي الذي لا يعانع في اجتياز اسرائيل لقناة السويس وخطوط ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وذلك خلال الهجوم الاسرائيلي المضاد الواسع النطاق في اليوم الثالث للقتال ، والذي فشل .

هذا فيما يتعلق بتعامل الاعلام الاسرائيلي مع الموقف الاميركي المؤيد للموقف الاسرائيلي تأييدا مطلقا ، والمؤيد للمزيد من الاحتلال الاسرائيلي الى ابعد من حدود حزيران ١٩٦٧ ، لو كان باستطاعة اسرائيل ذلك .

محاولات التشكيك والدس بالموقف السوفياتي

اما فيما يتعلق بتعامل اعلام العدو مع الموقف السوفياتي فقد كانت محاولات العدو بالتشكيك والدس خائبة خاصة بعد النداء الشهير الذي وجهه بريجنيف بضرورة ان تدعم وتساهم كافة البلدان العربية مع مصر وسوريا في المعركة .

وقبل نشوب المعارك كان الاتجاه الرئيسي في الموقف السوفياتي هو ((تأييد حق العرب في تحرير اراضيهم المحتلة)) . وبعد نشوب المعارك تمثل الموقف السوفياتي في بيان وكالة تاس الرسمي الذي حمل اسرائيل مسؤولية نشوب القتال بصورة قاطعة .

وفي البداية حاولت اسرائيل ان تظهر بان هناك تناقضا بين الموقف السوفياتي والعربي فيما يتعلق بالحرب . وراحت اذاعة العدو تروج في نشراتها المختلفة لموضوع « خروج الخبراء السوفيات من مصر وسوريا » ، للايهام بمعارضة السوفيات اعلان الحرب ، وبالتالي الايهام بان السوفيات لن يؤيدوا العرب ، واذا فعلوا ، فان ذلك لن يكون تأييدا فعالا ..

اكثر من ذلك حاولت الاذاعة الدس (صباح يوم الثلاثاء) بالزعم بان الاتحاد السوفياتي « قد حذر اسرائيل قبل نشوب القتال بثلاثة ايام بواسطه وسيط فرنسي » ، وذلك في مسعى خائب من العدو لزرع الشكوك بالموقف السوفياتي وذلك لما لمركزية العلاقة العربية – السوفياتية من تاثير فعال في المجالين العسكري والسياسي .

ولكن الموقف السوفياتي المؤيد للعرب لتحرير ارضهم المحتلة ، ما كان ممكنا الا ان يترجم بعد نشوب القتال، الا بالتاييد المطلق لاستمرار القتال حتى تحرير جميع الاراضي العربية المحتلة . وبذلك كان موقف الاتحاد السوفياتي – والصين ايضا – في مجلس الامن ، الذي عارض اتخاذ قرار بوقف اطلاق النار ، الا اذا تعهدت اسرائيل بالانسحاب من جميع الاراضي التي احتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧ ، كان هذا الموقف ضربة قاضية للمحاولات الخائبة للعدو في التشكيك والدس بحقيقة التاييد السوفياتي للعرب في نضالهم من اجل تحرير اراضيهم المحتلة . ولكن هذه الخيبات لا تعني بان اعلام العدو الصهيوني قد توقف عن محاولات الدس والتشكيك هذه ، وهو سيواصل مثل هذه المحاولات كجزء هام من الحرب النفسية التي يشنها مستهدفا المعنويات العربية ، معنويات الجماهير العربية ومعنويات الجنود البواسل المقاتلين في الجولان وسيناء ، المطمئنين الى دعم الجبهات الداخلية وتماسكها ، والمطمئنين ايضا الى ثباتوحزم مصادر الدعم والتزويد السوفياتي العسكري ، بالسلاح والعتاد والذخيرة – وهذا الثبات والحزم الذي اكده بريجنيف في تصريحه ليس فقط بدعوة الدول العربية الى تأييد مصر وسوريا في المعركة القائمة ، بل بقوله ايضا بان بلاده تقدم مساعدات مختلفة للمساعدة في تحرير الاراضي العربية » .

محاولات الدس بين القوى العربية المقاتلة

وقد تميزت المعالجة الاعلامية الصهيونية للمواقف العربية بالتقليل من اهمية هذه المواقف – متوجهة الى الجمهور الاسرائيلي – وبمحاولة ابراز التناقضات العربية وتضخيمها لزرع الشك – متوجهة الى الجماهير العربية.

وفيما يتعلق بالموقف العراقي ركزت اذاعة العدو على ابراز التناقض الجزئية العربية وتجاهل التناقض الرئيسي بين البلدان العربية واسرائيل مغفلة بذلك اي اساس وطني وقومي للموقف العراقي . هذا بينما راحت تلوح بانهيار مزعوم لنظام الحكم السوري ((بين لحظة واخرى)) ، وتؤكد ((بتدهور العلاقات)) بين العراق وسوريا ، وذلك حتى تتوصل الى التساؤل بحقيقة الهدف الذي يسعى اليه العراق من مساهمته في المعركة ، في محاولة لزرع الشكوك العربية بهذه المساهمة العراقية في معارك التحرير .

لبنان والمقاومة

ان الموقف الاسرائيلي تجاه لبنان والمقاومه كان قبل اندلاع المعارك يعتمد على المعادله التالية : الردع تجاه لبنان لكي يضغط على المقاومة والتهديد بمهاجمته كلما تصاعدت العمليات التي تدعي اسرائيل بان مصدرها هو لبنان .

بعد اندلاع القتال توقف التهديد بالردع او تنفيذه خوفا من خطر فتح جبهة ثالثة جديدة . وعمليات المقاومة التي يمكن ان تنطلق من جنوب لبنان تصاعدت كما اعترف العدو مؤخرا وهذا يضع المعادلة الاسرائيلية في مواجهة التحدي . حول العمليات المسلحة للمقاومة هل يمكن ردعها بمنع الجبهة اللبنانية ؟

بعد صمت عن العمليات العسكرية للمقاومة استمر حتى اليوم الثاني من ايام الحرب اوردت الاذاعة العبرية في الساعة الثامنة عشر من يوم الاثنين ثالث يوم القتال « بان رئيس الحكومة اللبنانية طلب من السفراء العرب الناتج على « المخربين » بان لا يقوموا باية عمليه من شانها ان تعطي اسرائيل ذريعه لمهاجمة لبنان » . ثم تؤكد الاذاعة ((وكان « المخربون » قد نشروا خلال الايام الاخيرة معلومات جمة حول عمليات قاموا بها ضد اسرائيل، والاستمرار في التقليل من اهميه عمليات المقاومة يحقق هدفا مزدوجا : اخفاء فاعلية المقاومة الفلسطينية من جهة ، وعدم الوقوع بمعادلة التحدي التي كانت قائمة قبل الحرب في ردع لبنان من جهة اخرى ، لان الردع بعد القتال معناه فتح جبهة جديدة ، عسكريا وجماهيريا .

هذا الاتجاه تمثل بوضوح في القفز من فوق فاعلية عمليات المقاومه ليأتي قرار مجلس الوزراء في تحذير لبنان « بان لا يقدم مساعدة عسكرية فعاله لسوريا » . كما ورد في نشرة الاخبار مساء يوم الاثنين .

هذه الخطبه لتحقيه الموقف في جنوب لبنان وربط التحذير الاسرائيلي للبنان بالمساعدات التي تقدم لسوريا سرعان ما جاء الموقف الرسمي المحذر للبنان من الدخل ليكون اكثر وضوحا في اليوم الثالث للمعارك ، لانه جاء مصحوبا بالاشارة للمقاومة بدلا من سوريا وبالاعتراف ((بان بعض « المخربين » العاملين من لبنان وجهوا ضربات من الاراضي اللبنانية نحو المستوطنات الاسرائيلية)) .

سانتياغو ايلول آخر

عبدالستار نور علي

لا تبكي
القلب الراحل مزرعة للحب
للفرح القادم عبر الليل
للثمر الحلو
لا تبكي
الصوت العابر فوق الريح
رسالة شوق
للقمر العالم في نهر اللؤلؤ
سرا ...
الحب يجوب شوارعك ،
سانتياغو ،
لغة ارقام القتلى فوق الاسوار
الممتدة من واشنطن لفيتنام .. لسانتياغو
لغة من نار

***

الثمر المر على اشجار الحب
طريق القمر الغارق في نهر اللؤلؤ
هل يحلم طفل /في بده ملعمة ملأى بالدم/
منتظرا
صوت ابيه
حضن ابيه
قلب ابيه
– اخترقت رصاصة قلب ابيه
فجرت
منابع الشوق ورايات الغضب

***

ايلول مجزرة للنجم الطالع فوق جباه الازهار
ايلول آخر يرحل من عمان
القلب الدامي في سانتياغو
يلمسح ورد العين

***

تساثر اجنحة القلب الطائر فوق جبال الانديز
في احداق الفلاح العالم بالارض الذهبية
بالثمر الحلو
وبيت من خشب الجنه
– يا ايلول الذبح ،
سراب ما سنقط في الفم من قطف الحاح
التائب في

عين الطير ..
تلك روايه
تجري في نهر الايام
لا تقف الايام
عند صباح واحد
برفل بوشاح اسود من ايدي الغربان
بينك ، يا سانتياغو .. وعمان
خيط من نسج اللؤلؤ في عقد الازمان
تلتف على قلب الارض ، رداء ، من نور ،
تجمع بين جبال الانديز .. والاغوار

***

عبر الاذان
نعر الاصوات الناحبه
تحمل نعش الطائر ، من عرق العمال جناحاه ،
من نزف الفلاح الارياش ،
في العين بنام النعش ،
في الصدر الناحل من جوع الارفقة المخبوه
في سيارات الشحن ، لعل النعش
نزع في النفس نبات النسيان

– بين الذاكرة والنسيان
خيط مشحون بالاضواء
نلمع في الاحداق النائمة ،
توقظ
اشواق الاطفال
للعب ،
للحلوى المسحوقة تحت الاقدام الصفراء ،
تحت صرير الدبابات

***

فوق جبال الانديز
بنام النهر النابع من ثمر الفردوس
حمامات الفرح تجوب القلب النازل عبر الصقع
ليغرق ابواب الزهر الغارق في ثوب الدم
في ساحات الاعدام
لترفرف رايات الاحلام
تدق مناجل في حقل الفرح القادم
عبر الليل .
– لا تبكي
الطفل السابح في بحر الدم
انجيل الايام
رايات الايام .

عبدالستار نور علي

بوابات المدن المغلقة

من سجن .
تحفر الريح جماجما .. وحده السكن
انا المعفر بالتراب
احوب صحاري الجوع
واصعد الهبات ..
واقف على صليب الحرب مسيحا .
اقاوم
دمي على كفي في كل مدينه برئيه .
لا اساوم ...
يا دم شعبي لا اساوم ..
منتصب في وجه الريح .
والفتوحات البليدة ..
تعربد في خيلاء !
تستبيح النساء ،
في الف كربلاء جديدة
مليون عام .. وارضنا موعودة بالعطاء
وان يغسل صدرها من مدائح الدم
وتشرب لون العضدة
كنت على موعد يا بلادي .
بالشموس ترقص .
والنسيم
وتنحني السماء ،
تلثم ثغر الشهيدة ..
لكن ،
الف سد في الدروب الى المدينه .
دوني ...
وسيوف مشرعه ، تفتح بابا للهزيمه
تتقاسمنا في وليمه .
يا حزن شعبي المورق على ساعد
الامطار
الليل ،
كالسفر البعيد .
يتلوه مهما طال النهار ..

السراج احمد

مرة أخرى
ملاحظات حول "العصفور"

« اني متربع .. لقد اعادني الفيلم للحظات الفرح » ، كان تعليق صديق مصري عند نهاية عرض فيلم « العصفور » للمخرج يوسف شاهين . وبدات اللهجه الغاضبة وبصوت خافت تمتمت رفيقتنا المصرية : « لقد ذكرني الفيلم بساعات الحزن » ولكن من وراء مشاعر الحزن والفرح والغضب يطرح شاهين اسئلة عديدة تتناول قضايا رئيسية في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر عن طريق تصوير الاجواء التي ادت الى مرحلة حزيران ١٩٦٧ .

ان واضع القصة لطفي الخولي ومخرجها لا يتطرقان ابدا لاسطورة التفوق العسكري الاسرائيلي كسبب للهزيمة ولكنهما بمحاولة ذكية يتكئان الى تصوير الوضع الداخلي في مصر اقتصاديا وسياسيا وعسكريا واعلاميا متهمان القيادات السياسو – عسكرية بالاستغلال والسرقة والتمويه والكذب ومتهمان جماهير مصر وخاصة المثقفين بضعف الارادة الثورية على لسان الصحفي الملاحق باستمرار حين يقول « الشيخ معاه حق » – والكلام هنا للشيخ – .. « يتحكوا ثورة ، ويتكتبوا ثورة ، ولكن ما بنعملوش ثورة » .

قصة الفساد الحكومي والاداري والبيروقراطية الاستغلالية المتفشية حتى في الاتحاد الاشتراكي وهو التنظيم الوحيد المفروض انه يمثل مصالح وارادة الجماهير المصرية تتمثل في قصة المهرب ورجل العصابات ابي خضر الذي تلاحقه الدولة لكي تقتله قبل ان يفضح اسماء شركائه من الرسميين الكبار في عمليات السرقة التي كان يديرها بمعرفة ومساعدة الذين يستريحون في المناصب الكبيرة جدا واهمها سرقة مصنع كان يمكن ان يشغل اربعة آلاف رجل في احدى القرى الفقيرة والبدائية .

يجب التوقف قليلا عند حكاية المصنع وخاصة انه من المعروف ان لطفي الخولي هو رجل ماركسي . لقد اخذت الدولة سنوات لبناء المصنع ولم تنجزه قط وبالنهاية سرقه ابو خضر . اي ان محاولة التصنيع في مصر ومحاولة تحويل مجتمع زراعي متخلف الى مجتمع صناعي بما يعكسه هذا التحويل على البنى الاجتماعية والفكرية كان محاولة كاذبة وغير حقيقية . والذي يريد الكاتب قوله هو ان الثورة لم تكن قد قامت في مصر حتى ذلك الوقت .

ولم يكن من الصدفة ان يكون ابو خضر ملاحقا ايضا من قبل الشيخ احمد فابو خضر مجرم وقاتل والشيخ احمد يريد الثأر منه ولو عرض نفسه لرصاص ابي خضر . المواطن المصري الذي يمثله الشيخ احمد لم يفهم بعد معنى ان يموت في سبيل قضية بل هو يقبل على الموت تحت ضغط التقاليد العائلية الضيقة كالاخذ بثأر احد افراد العائلة . ولكن هزيمة ١٩٦٧ غيرت الشيخ احمد وغيره من الساكتين الصابرين الذين انطلقوا جميعا بهتاف واحد « حنحارب .. حنحارب » .

وهنا يحصل تناقض رئيسي في منطق كاتب الرواية لو كان يعبر انطلاق الجماهير في الشوارع عشية حزيران ١٩٦٧ على انه بداية الثورة مع العلم انا كنا لا نزال نشعر ان المعمل لم يبن بعد وان مضمون القيادة في الملد لم يتغير .

تبلغ احداث الفيلم ذروتها في اللحظة التي يصر فيها الصحفي يوسف على نشر التحقيق الذي قام به حول قضيه ابو خضر في نفس الساعة التي تأكدت بها انباء الهزيمه « فالقضيه واحدة » كما يقول يوسف وساعتها يدرك المتفرج انه نما ان رجال الحكم هم بالحقيقة رجال عصابات كابي خضر فالهزيمة حتميه .

وهنا يؤكد الكاتب والمخرج على دور الصحافة في اطلاع الناس بصدق حول ما يحصل . « الحقيقه .. يجب ان يعرفوا كل الحقيقه » يخاطب يوسف نفسه باصرار . مفهوم الصحافة الحرة عند الخولي هنا هو التزام بالتعبير والدفاع عن مصالح الجموع الغفيرة المزرقة كي لا يخدعها الذين يحكمون باسمها وكي لا يسرقوا منها بالليل ما يعطوه بالنهار .

اما بهية فهي رمز مصر الشابة الفقيرة التي تتعب في الساس الاغنياء لكي تحصل على لقمة العيش . بهية تعمل بدأب ودائما ساكتة . تتفجر فقط في اللحظة التي يبلغ فيها عبدالناصر مصر ان الهزيمة قد وقعت فعلا فيقول لها الموجودون « اسكتي » وتصبح بمرارة « هو لازم ابقى دائما ساكتة » وعندما يعلن عبدالناصر استقالته اثر الهزيمة تهرع بهية تسمعها جموع غفيرة الى الشوارع رافضين الاستقاله مرددين « حنحارب .. حنحارب .. حنحارب » رفض الاستقاله كان يعني عمليا رفضا للهزيمه . ويتساءل المخرج حينئذ : كيف اختصت هذه الصرخة ؟

احداث القصه رمزية ونسير بخطوط متوازية حتى اللحظة التي يقول بها يوسف « القضيه واحدة » حيث تتكامل الصورة وساعتها لا يعود المتفرج يفصل بين موضوع الاهتراء السياسي والهزيمه العسكرية . وقد استطاع شاهين ان يحدد معالم كل من شخصيات الفيلم بدقة وحول الرموز الى قصيدة .

كلام كثير يمكن ان يكتب عن العصفور فالتمثيل جيد ومحسنة توفيق اي « بهيه » كانت رائعة ، ولكن يبقى موضوع الفيلم هو الاشد اثارة. قضيه الهوة بين الحكم والشعب هي قضية اساسية في كل دول العالم غير الصناعي دون استثناء .

يبقى سؤال حول المشهد الاخير في الفيلم وهو هل كانت صرخه بهية صرخه يأس ام صرخه ولادة . معنى الرقص واضح فهل اكتفت مصر بالرقص ؟! يمكن طالما ان المصنع لم سن بعد ■■

ضياء